من تاريخ الأدب المصري

أحمد بن يوسف

المعروف بابن الداية

للأستاذ محمد كرد علي

كان والده من جلة كتاب الدولة الطولونية انتقل من بغداد إلى مصر، وكان من أهل المروءات والفضل، ونشأ ابنه أحمد في مصر كاتباً فصيحاً وشاعراً مجيداً، وحاسباً منجماً. وأصل آبائه من أقباط مصر على الغالب، وكان جدهم الأول سميه أحمد بن يوسف الكاتب وزير المأمون. ولأحمد هذا المعروف بابن الداية ثلاثة وعشرون مصنفاً فقدت ولم يبق منها فيما نحسب سوى قطعة من «كتاب المكافأة وحسن العقبى» تدل على علو كعبه في البلاغة وقد أثبت في كتاب المكافأة أخباراً في المكافأة عن الحسن والقبيح مما شاهده في عصره، وذكر قصصاً شهدها أو نقلت إليه عمن أحسن إلى إنسان فكوفئ على إحسانه، وساق في المكافأة على الحسن إحدى وثلاثين قصة، وفي المكافأة على القبيح إحدى وعشرين قصة، قال في آخرها: وإذ قد وفينا ما وعدناك به من أخبار المكافأة على الحسن والقبيح ما رجونا أن يكون ذلك عوناً للاستكثار من مواصلة الخير، وتطلب المعارفة في الحسن، وزجر النفس عن متابعة الشر، وإبعادها عن سورة الانتقام في القبيح وقد قالوا: الخير بالخير والبادي أخير، والشر بالشر والبادي أظلم — رأيت أن أصل ذلك حفظك الله بطرف من أخبار من ابتلي فصبر، فكان ثمرة صبره حسن العقبى، وأخبار حسن العقبى تسعة عشر خبراً سقط بعضها فيما يظهر

قال من أخباره: «حدثنا أحمد بن أبي يعقوب قال: أنكر المهدي على هرثمة بن أعين (من أكبر قواد بني العباس) تحكمه بمعن بن زائدة وأمر بنفيه إلى المغرب الأقصى، فكلمه الرشيد فيه واستل سخيمته عليه. ومات معن، وزادت حال هرثمة، وشكر للرشيد ما كان منه. وأفضت الخلافة إلى موسى الهادي فتمكن منه هرثمة. وحدثت الهادي نفسه بخلع الرشيد، وجمع الناس على تقليد ابنه العهد بعده، وعلم بهذا هرثمة، وتذكر عارفة الرشيد فتمارض. وجمع الهادي الناس ودعاهم إلى خلع الرشيد ونصب ابنه مكانه فأجابوه وحلفوا له، وأحضر هرثمة فقالوا له: تبايع يا هرثمة؟ فقال: يا أمير المؤمنين يميني مشغولة ببيعتك، ويساري مشغولة ببيعة أخيك فبأي يد أبايع؟ والله يا أمير المؤمنين لأن كدت في الرقاب من بيعة ابنك أكثر مما أكده أبوك لأخيك في بيعته. ومن حنث في الأولى حنث في الأخرى. ولولا تأول هذه الجماعة بأنها مكرهة وإسرارها فيك خلاف ما أظهرت لأمسكت عن هذا. فقال الجماعة من حضر: شاهت وجوهكم، والله لقد صدقني وكذبتموني، ونصحني وغششتموني. وسلم إلى الرشيد ما قدره الهادي فيه»

قصة ثانية: «حدثني هرون بن بلال قال حدثني ياسين بن زُرارة قال: كان ببعض أرياف مصر نصراني من أهلها كثير المال فاشي النعمة سمح النفس، وكانت له دار ضيافة، وجرايات واسعة على ذوي الشعر بالفسطاط. فهرب من المتوكل رجل كنى عن اسمه لخطر منزلته، ليل كان من المنتصر إليه، فلما دخلها رأى فيها كثيراً من أهل بغداد، فخاف أن يعرف فتزع إلى أريافها، فانتهى به المسير إلى ضياع النصراني فرأى منه رجلا جميل الأسر، وسأله النصراني عن حاله، فذكر أن الاختلال انتهى به إلى ما ظهر عليه. فغير هيئته، وفوض إليه شيئاً من أمره، فأحكم فيما أسند إليه واضطلع به. ولم يزل حاله يتزايد عنده حتى غلب على جميع أمره، وقام به أحسن قيام، فكان محل الرجل الهارب من النصراني يفضل كلما ذهب له

«وورد على النصراني مستحث بحمل مال وجب عليه. (وسأله) النصراني عن خبر الفسطاط فقال: ورد خبر قتل المتوكل وتقلد المنتصر. ووافى رسول من المنتصر في طلب رجل هرب في أيام المتوكل يعرف بفلان بن فلان ويوعز إلى عمال مصر والشام بأن يتلقوه بالتكرمة والتوسعة فيلحق أمير المؤمنين في حال تشبه محله عنده. فعدل النصراني بالمستحث إلى بعض من أنزله عليه، وخلا الهارب بالنصراني فقال: أحسن الله جزاءك، فقد أوليت غاية الجميل وأحتاج إلى أن تأذن لي في دخول الفسطاط فقال: يا هذا إن كنت استقصرتني فاحتكم في مالي، فإني لا أرد أمرك

أزول عن حكمك ؛ ولا تنأ عني ، فقال له : أنا الرجل
لوب بالقسطاط وقد خلّفت شملا جمًّا ، ونعمة واسعة . إنما
ل بي الخوف على نفسي . فقال له : ياسيدي فالمال في يدك وما
ك من الدواب فأنت أعرف به مني فاحتكم فيه ، فأخذ بغالا
صالح لمثله ، وخرج النصراني معه . وقدم كتاباً إلى عامل
ونة من مستقره ، فتلقاه عامل المعونة في بعض طريقه ، ووصاه
بيع العمال بالنصراني ، وسار إلى الحضرة فأصدر اليهم الكتب
الوصاة به إلى أن قدم بعض العمال المتجرة فتتبع النصراني ورام
ادة عليه فخرج إلى بغداد

« قال لي هرون إن ياسين قال له : إن النصراني حدثه أنه
ل إلى بغداد فلم ير بها أدنى محلا ، وأكثر قاصداً منه ، ثم
تأذنت عليه وعنده جمع كثير فخرج أكثر غلمانه حتى استقبلوني
رآني قام على رجليه ثم قال : مرحباً يا أستاذي وكافلي والقائم
حين قبد الناس عني . وأجلسني معه وانكب على ولده وشمله ،
ا أتأمل مواقع الاحسان من الأحرار ، وسألني عن حالي في
عي فأخبرته خبر العامل ، وكان أخوه في مجلسه فنظر إليه من
نا عنده ، وقال له : كنت السبب في تقليد أخيك فصار أكبر
ب في مساءتي ، فكتب من مجلسه كتاباً إليه بجلية الخبر وأنفذه .
ت عنده حولا في أرغد عيشة وأعظم ترفه . وورد على كتب
ابي تخبرني بانصراف العامل عن جميع ما كان اعترض عليه
أمري . وأخرج أمر السلطان في إسقاط أكثر خراج
عي والاقتصار بي على يسير من مالها . قال ياسين فكتب
سراني ببغداد حجة أشهد فيها على نفسي أن أسلمه في جميع
ياع التي في يده (وسماها وحددها) لهذا الرجل الذي كان
ب، وصار بها إليه ، فقال له : قد سوغك الله هذه الضياع ،
أراك أحق بها من سائر الناس ، فامتنع الرجل من ذلك وقال
عليك فيها عادات تحسن ذكرك ، وترد الأضغان عنك ،
ت أقطعها بقبض هذه الضياع عنك . ورجع النصراني إلى
سطاط فجدد الشهادة له فيها . فلما توفي النصراني أقرها في يد
به ، ولم يزالوا معه بأفضل حال »

محمد كرد علي

ظاهرة هامـــة

للأستاذ عبد المغني علي حسين

يروى كثير من الناس عن بعض الذين ماتوا من أقربائهم أو أصدقائهم ، أن هؤلاء ، عند ماحضرهم الموت كانوا يهتفون بأسماء بعض الذين سبقوهم إلى الدار الآخرة . ويروى الراوون أن المحتضر كان يتحدث إلى (الموتى) كما لو كانوا منه على مرأى وعلى مقربة . أما قول الناس في تعليل ذلك فهو أنه هذيان نتيجة اختلال الشعور . وبعض الناس يسلم بالعجز عن تعليل هذا الأمر . والجميع يعرفون بالتجربة أن المريض إذا (نادى على الأموات) على حد قولهم ، فقد تحقق دنو أجله ، ولم يعد ثم أمل في نمائه .

هذه الظاهرة معروفة مشهورة في بيئتنا المصرية ، ولا أحسب القارئ الكريم إلا قد سمع بها ، إن لم يكن شهدها بنفسه . ولكن أرجو ألا يحسبها قاصرة على البيئة المصرية ، أو على أية بيئة معينة ، فالواقع أنها شائعة في العالم أجمع ، ومعروفة بين بني البشر على اختلاف جنسياتهم وألوانهم ومدنياتهم ودياناتهم . وهي ، بالنظر لشيوعها هذا ، خليقة أن تسترعي اهتمام الباحث المفكر ، سيما وأنها تتصل بذلك السر الأعظم : الموت . هـذه الظاهرة قد استرعت فعلا اهتمام من اشتغلوا بالبحوث الروحية ، وهي عندهم عظيمة الدلالة والخطر .

أمامي الآن كتاب أخرج في عام ١٩٢٥ ، لأحد كبار الباحثين الروحيين من الانجليز ، هو سر وليم باريت ، عضو الجمعية الملكية البريطانية (T.R.S) ، وفي هذا الكتاب دراسة مستفيضة لتلك الظاهرة الشائعة ، ومن يتصفحه يرى كيف يمكن أن يصل الباحث إلى نتائج خطيرة من ظواهر مشتتة لا تحمل في ظاهرها دلالة ولا قيمة علمية . عمد الباحث المذكور إلى دراسة هذه الظاهرة دراسة استقرائية على طريقة العلم الحديث التي بلغت به مابلغ . تلك الطريقة القائمة أولا على شهود أكبر عدد ممكن من الظواهر ، ثم وصف تلك الظواهر بدقة وتفصيل وصدق ، ثم المقارنة بينها وملاحظة ما فيها من عناصر مشتركة ، ثم استنتاج ما يمكن استنتاجه . ويأتي بعد ذلك استنباط التجارب